قضية الصّدق والكذب من منظور النقاد القدامى والمحدثين

Truthfulness and lies from the perspective of ancient and modern critics

طالبة دكتوراه: جمعي نورية
الأستاذ الدكتور: لخضر العرابي

قسم اللغة و الأدب العربي-جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان(الجزائر)

مخبر انتماء طالب الدكتوراه:مخبر الدّراسات الأدبية و النّقدية و أعلامها في المغرب العربي.

charafloudjiene@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2023/04/01 تاريخ القبول: 2023/05/13 تاريخ النشر: 2023/12/05

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى استجلاء خصوصية تنظير النّقد العربي ما بين القديم و الحديث لقضية الصّدق و الكذب. من خلال محاولة تشكيل عناصر هذه النّظرية بعدد من آراء النّقاد قديما وحديثا و بأشكال متعدّدة بوصفها قيمة جمالية أدبية لها مفهومها النّظري الخاص في النّقد العربي.

فهما تحملان من المعاني رابط التّضاد في الحكم أو التّقويم و القبول و الرّد أو الاستحسان و الاستقباح، و لكنّهما تتّحد في أنّهما يتحققان في اللفظ المسموع و كذا في حركة النّفس المحسوسة هواجيسها و تخيّلاتها، و في حركة الجسد من إقبال و إدبار.كل هذا و الأمر عائد إلى أحد الطّرفين المتكلّم أو السّامع.

الكلمات المفتاحية: النّقد ، القديم، الحديث، الصّدق، الكذب.

Abstract:

This research aims to study the issue of truthfulness and lies from the perspective of ancient and modern critics which is among the issues that have gained popularity, wether in ancient or modern times, by studying a number of the opinions of critics as a literary aesthetic value that has its theoretical concept in literary criticism..

key words: criticism; old; modern; honesty; lying.

1. مقدمة:

كانت ولا زالت قضية الصدق والكذب جدلية مطروحة عند النّقاد على اختلاف مشاربهم وتباين عصورهم، فقد وردت مادّة صدق" في القرآن الكريم " ستّ و تسعون مرّة، ووردت مادّة "كذب" فيه ثلاث مئة وسبع مرات، و هذا يشي باهتمام الأديان بمفهومي الصّدق والكذب[1]،غير أنّ المعنى اللغوي للصّدق والكذب قد اتّصل بالواقع، فما وافقه فذلك هو صدق وما خالفه فهو كذب، وقد يكون الفيصل عقدي أو إيديولوجي أو نفسي اجتماعي أو شكلي فنّي. فكيف رأى النقاد القدامى هذه الجدلية؟ و ما الذي استجدّ حولها عند المحدثين ؟ و ما مدى الاتساق بين التنظير النّقدي العربي القديم للصّدق و الكذب و تصاعد النظم الإبداعي الشعري عبر الزمن؟

وقد اعتمدنا للإجابة عن هذه الأسئلة على منهج وصفي وفق مادة البحث المقسمة إلى مدخل وفصلين، في كل فصل وجهات نظر نقاد عصره في ذاك الزمن، فقد تعرضنا في بداية بحثنا إلى آراء كل من الجاحظ، ابن طباطبا، عبد القاهر الجرجاني، حازم القرطاجني، كذلك كان لنا حديث عن كل من محمد النويهي، زكي العشماوي، أحمد أمين، طه حسين.لننتهي إلى خاتمة البحث كقفل لما ورد.

2. تحديد المصطلحات

1.2 **الصدق**: ورد في المعجم الوسيط "الصّدق: مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلّم[2]

2.2 **الكذب**: ورد في المعجم الوسيط :يقال كَذَبَ: أخبر عن الشّيء بخلاف ما هو عليه في الواقع.[3]

3. قضية الصّدق والكذب من منظور النّقاد العرب القدامى :

ارتبطت قضية الصّدق والكذب ارتباطا وثيقا بالدّين والأخلاق منذ أن عرفت الإنسانية الدّين والأخلاق، فنجدها في الدّيانة المصرية القديمة مثلا، كما نجد كذلك في إحدى الوصايا العشر في الدّيانتين اليهودية والمسيحية نهي عن الكذب.[4]

و لمّا كان الصّدق والكذب مفهومين مرتبطين بحياة النّاس الاجتماعية والإنسانية ، وكان الأدب نشاطا إنسانيا مرتبطا بالحياة الاجتماعية والنّفسية للإنسان نقل هذا المفهوم من دائرة الدّين والأخلاق إلى الشّعر، فأصبح الصّدق معيارًا من معايير قبول الشّعر وردّه والحكم عليه بالجودة والرّداءة عند بعض النّقاد، فذاك حسّان بن ثابت الذي يرى في تحقق الصّدق في الشعر ضرورة حتمية حين قال:

وَ إِنَّ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا[5].

1.3 ما يراه الجاحظ (ت255 ه):

فنجد الجاحظ يتمثل بأشعار المقتصدين الملتزمين بحدود الاعتدال والقصد والقبول، خاصة شعر الخوارج، لأنّه يجدهم صادقين في عقيدتهم وإخلاصهم لها، لذلك جاء شعرهم

صادقا عمّا يجيش في نفوسهم، كذلك رضي على شعر قطرب والخنساء لاعتدال شعرهم،[6] هنا يظهر الميل العقدي في الأحكام الصادرة عند قيمة الشعر الأخلاقية، فالتي تحرره عند بعض النّقاد الميل العقدي والذي يعدّ أقوى الميول وأصدقها، وهذا ليس دائما كذلك وقد سبق للجاحظ أن تحدّث عن أثر الصّدق في التّعبير في النّفوس قائلا:"صنع في القلوب صنيع الغيث في التّربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة عن هذه الشّريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصّفة أصحبها الله من التّوفيق ومنحها من التّأييد ما لا يمتع معه من تعظيمها صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة".[7] أي صدق إعراب المبدع الأديب يمكّنه من توصيل رسالته إلى كل المتلقّين باختلاف مستويات إدراكهم، وشدّة اعتراضهم.

تلخيصًا لموقف الجاحظ من قضية الصّدق قوله:" ولا نرى بالغناء بأسًا، إذ كان أصله شعرا مكسوا نغمًا، فما كان منه صدقا فحسن..."وذاك ما وافق قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه: "الشعر كلام فحسنه حسن، وقبيحه قبيح"[8].

إضافة إلى أنّه يرى أنّ الأديب الصّادق أقدر على تبليغ أفكاره، وذلك بانتقال عدوى الأحاسيس الصادقة إلى القارئ عبر السّطور، بينما يظل القارئ محايدا عندما تكون غير ذلك، لأن ما يخرج من القلب يقع فيه ، وما يخرج من اللسان لا يتجاوز الآذان، ومع إعجاب الجاحظ بشرف الكلمة، إلّا أن إعجابه بالصورة دفعه للتساهل مع صاحبها رغم مخالفته الأخلاق، في سبيل تحقيق القيمة الفنّية الجمالية، أمّا إذا كان الأدب عاديا قريبا من الجيّد فنجد الجاحظ يتشدّد معه ولا يتسامح في الكذب والمبالغة، فالصّدق ضرورة حتمية في الأدب العادي عنده.[9]

ومن جانب آخر وفي تحديد الجاحظ لمعنى الكذب في الأدب، يتحدّث عن أسبابه قائلا:"تكلّف الصّنعة،والخروج إلى المباهاة، والتّشاغل عن كثير من الطاعة، ومناسبة أصحاب التّشديق، ومن كان كذلك كان أشدّ افتقارا إلى السّامع من السّامع إليه، لشغفه أن يذكر في البلغاء، وصبابته باللحاق بالشعراء، ومن ذلك غلبت عليه المنافسة والمغالبة، وولّد ذلك في قلبه شدّة الحمية وحبّ المجاذبة. ومن سخف هذا السخف، وغلب الشيطان عليه هذه الغلبة، كانت حاله داعية إلى قول الزور، والفخر بالكذب وصرف الرغبة إلى الناس، والإفراط في مديح من أعطاه، وذم من منعه"[10].

ويلوم الجاحظ الأديب الذي يبلغ الغاية في الإسراف والمبالغة طلبا للبعد عنها قدر الإمكان: فداء الكذب يدفع صاحبه للكذب والتزيد والإفراط حتى يصل حدّ المحال الذي لا يمكن للعاقل قبوله إلا نادرا....كما قد يدفع الحب للصّديق والكراهية للعدوّ بالأديب إلى الكذب وفي هذا السبب يروي الجاحظ قصّة النبي صلى الله عليه وسلّم مع عمرو بن الأهتم حين سأله عن

الزبرقان فقال فيه عمرو:" هو والله زمر المروءة، ضيق العطن لئيم الخال " وإنه لمانع لحوزته، مطاع في أذنيه ". فاعترض الزبرقان عن قول عمرو وقال: يا رسول الله، إنّه ليعلم منّي أكثر ممّا قال: حسدني شرفي، فقصر بي! " فنظر النبي صلى الله عليه و سلم في عيني عمرو، فقال عمرو يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الآخرة"[11]، وهنا يبين الجاحظ أثر العواطف الإنسانية في دفع الأديب نحو الكذب.

2.3 ما يراه ابن طباطبا العلوي (ت 322هـ):

أمّا ابن طباطبا فعدّ الصّدق من قوام الشعر الجيّد، فيقول:" والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصّواب الحقّ"[12]، ويوضّح إحسان عباس مفهوم ابن طباطبا للصّدق بأنّه يقصد به السلامة التامّة من الخطأ في اللفظ، والجور في التركيب، والبطلان في المعنى، فيتصف الشعر بالاعتدال بين هذه العناصر، وهذا مفهوم عام للصدق عند ابن طباطبا، فيرى إحسان عباس أنّها دلالة متفاوتة(لفظة الصدق). وانطلاقا من هذه الدلالة يحاول إحسان عباس استنباط أنواع الصّدق عند ابن طباطبا وهي كالتالي:

- **الصدق عن ذات النّفس**: وبه يتم كشف المعاني المختلجة فيها، والإعراب عمّا يجول فيها بالحقّ في جميعها [13]، وهذا ما يعادل اليوم" الصدق الفنّي أو "إخلاص الفنّان في التّعبير عن تجربته الذّاتية".[14]

- **صدق التجربة الإنسانية جملة**: وهو أن تتناول الأشعار ما هو كائن في النّفوس والعقول، وما هو كامن في الضّمائر، فيؤثّر في السّامع نظرا لتوافقها مع ما يخالجها من شعور، وما يوافق فهمه، أو توضع في هذه الأشعار حكمة تألفها النفوس، فترتاح لصدق قولها[15].

- **الصّدق التاريخي**: وهذا يكون عند اقتصاص خبر أو حكاية كلام، ولا يمانع ابن طباطبا "الزيادة والنقصان يسيرين غير محجوبين لما يستعان لهما، وتكون الألفاظ المزيدة غير خارجة من جنس ما يقتضيه، بل تكون مؤيّدة له، وزائدة في رونقه وحسنه".[16]

- **الصدق الأخلاقي**: وهو ما ذكره ابن طباطبا حين قال: إنّ شعراء الجاهلية وصدر الإسلام كانوا يؤسّسون أشعارهم في المعاني التي ركّبوها على القصد للصّدق فيها مديحًا وهجاءً، وافتخارًا ووصفًا، وترغيبًا وترهيبًا...وكان مجرى القصص الحق، والمخاطبات بالصدق فيحابون بما يثابون، أو يثابون بما يحابون".[17]

- **الصّدق التعبيري**: ويقصد به اعتماد الصّدق والموافقة في التّشبيه والمحاكاة، فمثلا تشابه شيئين في معنيين أو أكثر يقوي هذا التّعدّد التشبيه، ويؤكّد صدقه فيحسن به الشّعر.

3.3 ما يراه عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ):

ونجد عبد القاهر الجرجاني حين حلّل مقولة " خير الشعر أصدقه" بقوله:" فقد يجوز أن يراد به لأنّ خير الشعر ما دلّ على حكمة يقبلها العقل، وأدب يجب به الفضل، وموعظة تروض جماح الهوى وتبعث على التّقوى، وتبين موضع القبح والحسن في الأفعال، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال، وقد ينحني بها نحو الصدق في مدح الرّجال، كما قيل: كان زهير لا يمدح الرجل إلّا بما فيه".[18]

من خلال هذا النّص يتّضح لنا مدى اهتمام الجرجاني بتفسير الصّدق على أساس أخلاقي، فمن مال إلى اعتماد الصّدق في الشعر كان ترك المبالغة والإغراق والتجوز إلى التحقيق، غير أنّ اعتماد ما يجري من العقل على أصل صحيح، أفضل عنده إذا كان ثمره أحلى وأثره أبقى، وفائدته أظهر ومثل ذلك قول الشاعر:

إذَا أَنْتَ أكرمْت الكريمَ مَلَكْتَهُ وإنْ أَنْتَ أكْرَمْتَ اللَّئيمَ تَمَرَّدَا

فاستجاد الجرجاني هذا البيت مع أنه جاء صريح الإعراب، يشهد له العقل بالصّحة، ويتفق العقلاء على الأخذ والعمل به، ومثله أيضا قول الشاعر:

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفيعُ من الأذَى حتّى يراق على جوانِبِه الدَّمُ[19]

فبعد تعرّض عبد القاهر الجرجاني لمفهوم الصّدق الذي ينتصر له فيقول:" والعقل بعد على تفضيل القبيل الأوّل وتقديمه، وتفخيم قدره وتعظيمه وما كان العقل ناصره، والتحقق شاهده، فهو العزيز جانبه، المنيع مناكبه، وقد قيل: الباطل مخصوم وإن قضي له، والحق مفلج وإن قضي عليه، هذا ومن سلّم أن المعاني المغرقة في الصّدق المستخرجة من معدن الحق، في حكم الجامد الذي لا ينمى، فانظر إلى قول أبي فراس:

وكنّا كالسّهامِ إذا أصابَت مرامِيها فرامِيها أصابَها

ألست تراه عقليا عريقا في نسبه، معترفا في قوة سببه، وهو على ذلك من فرائد أبي فراس التي هو أبو عذريتها، والسابق إلى إثارة سرّها".[20]

إذن فنجد الصّدق عند عبد القاهر الجرجاني ليس هو ما طابق الواقع بل موافقته للعقل هي ما تجعل المعاني صادقة. كما نجده أثناء تحليله لمقولة" خير الشعر أكذبه"، إنّما يصبو إلى تحرير مصطلح " الكذب" في الشعر من دلالته الأخلاقية والاجتماعية ليصل إلى الدّلالة الفنّية من حيث الخيال والتّصوير[21]، فيقول " ومن قال:" أكذبه ذهب إلى أنّ الصنعة إنّما يمد باعها، وينشر شعاعها، ويتّسع ميدانها، وتتفرّع أفنانها، وحيث يقصد التلطّف والتّأويل ...يجد الشاعر سبيلا إلى أن يبدع ويزيد، ويبدأ في اختراع الصور ويعيد...ويصادف مددا من المعاني متتابعا ...وكيف دار الأمر فإنّهم لم يقولوا : خير الشعر أكذبه، وهم يريدون كذبا غفلا ساذجا يكذب فيه

صاحبه ويفرط...ولكن ما فيه صنعة يتعمل لها، وتدقيق في المعاني يحتاج إلى فطنة لطيفة، وفهم ثاقب وغرض شديد".[22]

4.3 ما يراه حازم القرطاجني (684هـ):

وها هو حازم القرطاجني يهتم بقضية الصّدق والكذب أكثر ممّا اهتمّ بها غيره من النّقاد، مع أنّ موقفه لم يكن جديدا ، إلّا أنّه فصل في أمور عدّة وبعمق شديد، ويمكن تلخيص نظرته في هذه القضية بقوله:" ما وقع من الأوصاف والمحاكاة لا يقع الكذب فيهما إلّا بالإفراط وترك الاقتصاد...".[23] وانطلاقا من نظرته الفلسفية للقضية، منها ما يتّصل بالجانب الفنّي للأداء ، ومنها ما يتّصل بالجانب المنطقي للدّلالة، فيقسّم القول الأدق إلى قسمين:

- **القسم الأوّل**: ما يطابق المعنى على ما وقع في الوجود.
- **القسم الثاني**: ما يقتصر عن هذه المطابقة بعدم بلوغ الغاية[24]،

فيعتبره حازم معيبا في الشعر خاصة في الوصف" وهذا النّوع من الصّدق في الشعر قبيح من جهة الصناعة وما يجب فيها".[25] وإن انتصار حازم للصّدق واضح وقد بيّن ذلك، أنّ الصدق يؤثّر في النفوس تأثيرا كبيرا...فنجده يصرّح أنّ المعاني" التي تكون فيها الأقاويل صادقة أو مشتهرة ، أفضل ما يستعمل في الشعر لكونها تحرّك النفوس إلى ما يراد تحرّكا شديدا".[26]ما يوحي إلى أنّ الصدق مناسبا في مواطن المناصحة. وقد قسّم حازم القرطاجني الكذب إلى:

- **الاختلاق الإمكاني**: وهو ما يعلم كذبه من ذات القول ، ويفسّره حازم قائلا:" فالاختلاق في أغراض الشّعر منه اختلاق إمكاني واختلاق امتناعي، أمّا الاختلاق الإمكاني فهو أن يأخذ الشاعر في موضوع لا نعرف بدليل الكلام ذاته ولا بدليل خارجيّ أنّه كاذب(ليس له وجود في الواقع)، وهذا مثل أن يدّعي الشاعر أنّه محبّ ويذكر محبوبا تيّمه ومنزلا شجاه من غير أن يكون كذلك، وهذا كثير في شعر العرب".من حيث ممكن حدوثه.
- **الاختلاق الامتناعي**: ويقصد به حازم القرطاجني :" هو أن يخترع الشاعر موضوعا للقول يمكن تصوّره في العقل و لكنّنا نعلم أنّه ممتنع في الوجود وهذا لا يقع للعرب في جهة من جهات الشعر أصلا، أمّا شعراء اليونان فكان لهم ذلك، وهو ما ذمّه ابن سينا"[27]وهو ما لا يحدث في الوجود، وإن كان متصوّرا في الذّهن كتركيب يد أسد على رجل مثلا .
- **الإفراط الاستحالي**: وهو ما لا يصلح وقوعه في الوجود ولا يتصوره في الذّهن ككون الإنسان قائما قاعدا في حالة واحدة، والإفراط" هو أن يغلو في الصّنعة فيخرج بها عن حدّ الإمكان إلى الامتناع أو الاستحالة"[28].كما ميّز بين الممتنع والمستحيل فالأوّل ممكن تصوّره ذهنيا وإن كان لا يقع في الوجود، بينما الثاني يمتنع وجوده واقعيا ويمتنع تصوّره ذهنيا[29] لهذا نجده يقسّم الإفراط على قسمين في الشعر:

* **الكذب الاختلاقي**: ف" الكذب الاختلاقي في أغراض الشعر لا يعاب من جهة الصناعة، لأن النفس قابلة له إذ لا استدلال على كونه كذبا من جهة القول " أي ما تقبله النفس ولا نستطيع البرهنة على عدم صدقه[30].

* **الكذب الإفراطي**: وأراد به" إذا خرج عن حدّ الإمكان إلى حدّ الامتناع أو الاستحالة"، وسبب تجشّم حازم عناء التّفصيل والتفسير هذا، هو ردّ الشّبهة التي اتصفت بالأقاويل الشعرية بأنّها كاذبة، ذلك أن" قول من قال أن مقدمات الشعر لا تكون إلا كاذبة كاذب..."[31]

فيقول في هذا الشّأن :" وإنّما احتجت إلى إثبات وقوع الأقاويل الصادقة في الشعر لأرفع الشبهة الداخلة في ذلك على قوم حيث ظنوا أن الأقاويل الشعرية لا تكون إلا كاذبة، وهذا قول فاسد ردّه أبو علي بن سينا في غير موضع من كتبه، لأن الاعتبار في الشعر إنّما هو التّخييل في أي مادة اتّفق لا يشترط في ذلك صدق ولا كذب".[32]

4 قضية الصدق والكذب من منظور النّقاد العرب المحدثين:

يشير كثير من الدارسين إلى أنّ مفهوم الصّدق في الشعر لدى النّقاد المحدثين قد اختلف عمّا ألّفه القدماء، إذ ربط معظم النّقاد القدامى الصدق بالواقع، في حين رأى المحدثون أن صدق الأديب في التّعبير عن عاطفة أو عقيدة، لا يعني البتة تمام مطابقتها مع الواقع بجميع حذافيره.[33]

1.4 ما يراه محمد النويهي:

فيرى محمد النويهي الصّدق عند الأديب هو التعبير بلسانه عن حقيقة ما في قلبه، فإن قالها(الحقيقة) فهو صادق، وإن لم يقلها فهو كاذب بمعنى الكذب الأدبي[34]، ويحاول النويهي شرح قصده بإيراد مثال: المتنبي وكافور الإخشيدي، حيث يرى أنّ المتنبي كان صادقا.

يحاول النّويهي شرح قصده بإيراد مثال: المتنبي وكافور الأخشيدي، حيث يرى أن المتنبي كان صادقا (بالمعنى الفني و الأدبي) حين هجا كافور الإخشيدي، برغم كذبه الواقعي، فكافور كان قائدا عظيما، غير أنّ كره المتنبي له، جعله يهجوه ويذمّه، فصدقه مع نفسه جعله صادقا فنّيا كاذبا واقعيا[35].

فالواضح أنّ الصّدق الفنّي الذي يطالب به النّاقد لا علاقة له بالصّدق الأخلاقي، بل قد يخالفه ويقف إزاءه، لأنّه لا يعتمد على الحقيقة بل على اعتقاد الشّاعر، وهنا جوهر الاختلاف أيضا، فالصّدق الفنّي: كما يعرفه بعض النّقاد :" هو التّعبير عمّا يحس به الشّاعر بصدق، أي أنّه ينقل لنا معاناته الشّعرية حتى لو كانت غير مطابقة للواقع، لأنّه غير المؤرخ"[36]، فما اعتبره القدامى لا صادق ولا كاذب (الجاحظ والقرطاجني)، عدّه المحدثون صادقا فنّيا، مع أن الأديب في هذه الحالة، قد يجرد صاحب فضل من فضله ، باعتماده فقط على اعتقاده الشّاعر و إحساسه،

وهذا ما يخالف عمرو بن الخطّاب أيضا:" لا يمدح الرجل إلا بما فيه ". يواصل النّويهي في نفس الموضوع مسطرا أربعة شروط تمكن الأديب من أن يتّصف بالصّدق وهي :

- أن تكون عاطفته التي يصفها قد ألمّت به فعلا، و أن تكون عقيدته التي يظهرها هي عقيدته الحقيقية في الموضوع الذي يعالجه[37]، أي يحاول أن يظهر مدى أهمية عاطفة الشّاعر وما تحويه، ثم اعتقاده العقلي للقضية.

- أن تكون حدّة تصويره ناشئة من حدة شعوره، و قوة انفعاله لا عن رغبته في المبالغة والإفراط[38]، والنويهي يشير ضمنيا إلى عدم اعتراضه على المبالغة بشرط أن يكون صادرا هذا التعّبير المبالغ فيه عن حقيقة شاعر الأديب، معبّرا بصدق عمّا يحسّه و إذا فقد هذا الشّرط خرج عن حيّز الصّدق.

- ألّا يخالف تصويره النّواميس البدائية للكون، ولا يتعارض مع حقيقة السّلوك الإنساني فيما نخبره من تجارب البشر ومواقفهم.[39]

- أن يكون من شأن صنعته أن تزيد عاطفته جلاء وقربا، لا أن يقف أمامها حجابًا يشغلنا تأمّل الصّياغة عن التماسها[40]،

مع أن النويهي قد أولى اهتماما بالغا بالصّدق في الأدب إلا أنّه جعله شرطا أوّليا لتقبّل الأدب، أي عدّ وجوده مدخلا أساسيا لدراسة الإنتاج الأدبي، حيث تليه جملة من المعايير والأسس، فيقول:"ليس معنى أهمية الصّدق أن نضطرّ إلى قبول كل إنتاج لصدق في التّعبير عن عاطفة منشئة، وأن يكون ضارا بالمجتمع، أو معاديا لقيمنا الأخلاقية أو الدّينية أو الوطنية"[41]. فقسّم النّويهي الإنتاج الشّعري إلى أربعة أصناف:

- **الشّعر الصّادق الهادف**: فنجده يعطي الصّدارة لإنتاج الأدبي الصّادق الذّي يصبو إلى خدمة الغنسانية خدمة جليلة تزيد من تقدير النّاس للخير و الحق.[42]

- **الشّعر غير الصّادق**: وهو أدب مرفوض عنده.

- **الشّعر الصّادق والضّار**:كذلك هو من الأدب المرفوض مع أنّه أدب صادق ولكن يحقّق أضرارا جسيمة من الخبث.

- **الشّعر الصّادق وغير المفيد**: وهو الذي لا يحقق أي غرض نبيل مع صدقه، ومع صدقه لا يضعه في مرتبة سامية.[43]

فكما هو جلي، المعيار الأخلاقي كائن في منظومة النّويهي النّقدية، إلى جانب معايير فنّية وجمالية.

2.4 ما يراه زكي العشماوي:

تكاد تتشابه وجهات نظر زكي العشماوي مع ما جاء به النّويهي في معرض حديث العشماوي عن الفرق بين الصّدق الفنّي والصّدق العلمي: نجده يقول:" إذا كان الصّدق في الحقيقة العلمية مردّه إلى مالها من واقعية يؤكّدها المنطق، وتثبتها التّجربة العلمية، فإنّ الصّدق في الحقيقة الفنّية مردّه إلى ما يكون من تواؤم واستجابة بين التّجربة التي تتضمّنها قطعة من الأدب وبين ما يحدث أو يقع للإنسان من تجارب واقعة بالفعل أو ممكنة الوقوع".[44]

وهنا العشماوي يقترب كل القرب من نظرية القرطاجني (ت 684 هـ) حول الاختلاق الإمكاني أي الصّدق مرتبط بوقوع الحدث فعلا أو إمكانية وقوعه، ويواصل العشماوي الحديث حتى يصل إلى أثر الصّدق الفنّي في الأدب على المتلقي فيقول:" وليس من الشّك في أنّ هذا الاحساس بالتّصديق أو الاقناع أو القبول الذي ينتهي عليه القارئ لأثر فني جيّد، مرتبط أشدّ الارتباط بقدرة الأديب أو الفنّان على رؤية الحقائق النّفسية والإنسانية بصفة عامّة، كما أنّه مرتبط كذلك بمدى طاقته على التّوصيل والأداء، وغني عن البيان أنّ كل فنان مزوّد بقدر غير عادي من الحساسية والمقدّرة على نقل المشاعر، مقدّرة لا يمتلكها أغلبية النّاس، والفنّانون لديهم الاستعداد الطّبيعي للرؤية والنّفاذ والتّعلّم إلى أقصى حد، وهم في نفس الوقت معلّمون ماهرون، إنّهم أكثر من غيرهم قدرة على الاستقبال استقبال الأحداث وبوسعهم أن يصوّروا ما يستقبلونه بطريقة تمكّنهم من توصيل ما لديهم من التّجارب،بل وحفره حفرا عميقا في عقل القارئ[45]. فالقدرة على الاستجلاء الحقائق النّفسية والانسانية لدى الشّاعر إضافة إلى المقدرة الفنّية على ترجمة هذه الحقائق لهما عظيم الأثر على القارئ فتزرعها و تكرّسها فيه.

3.4 ما يراه أحمد أمين:

قد أشار أحمد أمين في كثير من المناسبات إلى مدى أهمية الصّدق في التّجربة الشّعرية حيث يجده: "أساس كل عمل جيّد وخالد في الأدب، هو الإخلاص التّام من الفرد لنفسه، والإخلاص التّام منه لتجربته الخاصّة في الحياة"[46]، ويستشهد بقول الفريد دي موسيه الذّي يقول "إنّه أنا الذي عشق" حيث يتساءل أحمد أمين: " تبدو هذه العبارة عادية لكن من منّا يستطيع أن يقولها في صدق؟" فمع بساطة هذه العبارة، فصعوبتها تكمن في القدرة على نقلها وترجمتها بفن القول كما هي أو كما أحسسنا بها، يقول جورج هنري لويس:" نحن لا نستطيع أن نطلب من كل إنسان أن يكون له عمق غير عادي في فطرته، ولا نستطيع أن نطلب منه تجربة غير عادية، ولكنّنا نطلب منه أن يعطينا أحسن ما يستطيع ولن يكون هذا الأحسن شيئا يملكه غيره"[47].

ويضيف منبها إلى المغزى من الصّدق في الأدب:"وبدون الإخلاص لا يمكن أن يوجد في الأدب عمل حيّ، وميزة التّجديد في الأدب التي يدأب النّاس في البحث عنها ليست في الجدّة،

ولكنّها في الصّدق"[48]، ذلك أنّ الكون غني بالثّوابت: الشّمس، القمر، الصّداقة، الإيمان..معاني ثابتة وقارّة، كائنة في كل زمان ومكان، لكن المتغيّر هو ذلك الإحساس الصّادق النّاتج عن هذه المعاني الثّابتة، فلا يمكن أن تتوحّد ردود الفعل لمثير واحد، كما قد يتقارب الانفعال لكن يختلف و يتفاوت في درجات ذلك الانفعال، كما قد يخضع ذلك الانفعال إلى مؤثّرات أخرى كالمرجعيات النّفسية والخلفيات الدّينية، وحتّى طبيعة الإنسان أو الفرد ولكن الشّرط الأهم هو الصّدق في الإعراب عن هذا الانفعال النّاتج عن ذلك المثير.

ويمضي أحمد أمين في شرحه لمبدأ الصّدق حيث يقول:" ونعني بالصّدق، أن يعبر عن إحساسه وشعوره لا عن إحساس غيره وشعوره، وهنا أحمد أمين يصرّ على صدق التّجربة الذي سيكون صدق التّعبير نتيجة لها، ليضيف قائلا:"ولسنا ندّعي أنّ الصّدق هو الفضيلة التي يقول بها الأخلاقيون، وإنّما نعني بالصّدق مطابقة الكلام لتجارب الشّخص ولو كانت رذيلة، فأبو نواس حين يتكلّم عن تجاربه في الخمر ومدحها بالغزل بالمذكر صادق مخلص لأنّه يعبّر عن تجاربه الشّخصية، ولو كان الموضوع غير مستساغ في الخلق، والسّكير المعربد حين يتكلّم عن الفضائل ومدح الفضيلة وذم الرّذيلة كاذب لأنه لا يعبّر عن تجاربه الشّخصية. ولو كان يدعو إلى الفضيلة، وبعض الصّوفية إذ قلّدوا أبا نوّاس، ومسلم بن الوليد فشعروا في الخمر وغزل المذكّر كاذبون لأنّهم لم يعبّروا عن تجاربهم الشّخصية".[49]

مع أنّ أحمد أمين يحاول فصل الصّدق الفنّي عن الصّدق الأخلاقي إلا أنّ الصّدق فنّيا أو واقعيا يظل ذا صلة قريبة أو بعيدة من الصّدق الأخلاقي.

ويصل تقدير أحمد أمين للصّدق كعنصر من العملية الإبداعية إلى أوجّه حين يقول:"والحق أنّ ما كان من الأدب غير مؤسس على حقائق صادقة ليس ذا قيمة كبيرة وما عدّ منه أدبا، وإنّما عدّ أدبا لاستيفائه عناصر أخرى من عناصر الأدب، وكان يكون أتمّ لو اشتمل على هذا العنصر أيضا، وشأن الأدب في هذا شأن كل فن، فالفنّان على العموم يجتهد أن يرى الحقيقة ويريها للنّاس وإن يظهر حقائق الأشياء وبواطنها وهذا صحيح مهما بعد الخيال ومهما كان أشخاص القطعة الأدبية جنّا أو ملائكة، فنحن لا نقوّم القطعة الأدبية قيمة كبيرة ما لم تمثّل لنا ناحية حقّه من حياتنا الإنسانية كما هي أو كما يجب أن تكون"[50].

4.4 ما يراه طه حسين:

كما نجد كذلك طه حسين قد طبّق المعيار النّقدي نفسه المتمثّل في معيار الصّدق في التّعبير، فجعله من أهم المقاييس التي يقاس بها الأدب، ففي معرض حديثه عن كتاب أحمد أمين" فيض الخاطر"فتكلّم طويلا عن معالم شخصيته التي جمعها في خصلتين" خصلة الذّكاء النّافذ البعيد العميق، و خصلة البساطة الهادئة الطّريفة التي تثير الابتسام و قد تدفعك أحيانا إلى أن

تغرق في الضّحك إغراقا، ثم يرسم له صورة دقيقة أخرى تتألّف من الهدوء الهادئ من الثّورة الثّائرة[51]، يقول طه حسين في المقدّمة:" أنّ كتاب - فيض الخاطر- ليس إلّا خلاصة طريفة عذبة ممتعة لهاتين الصّورتين،و لهذه المتناقضات التي تؤلّف هاتين الصّورتين، في هذا الكتاب هدوء أحمد أمين و ثورته، ولك أن تقرأ من أوّله إلى آخره، و أن تعرض ما فيه من الفصول والمقالات على هذه الخصال الأربع، فستجدها ممثلة فيه أصدق تمثيل و أقواه، تراه جملة و تتمثّل تفاريق، تراه في فصل واحد ذكيا بسيطا، وهادئا ثائرا، وتراه في فصل آخر و قد غلبت خصلة أو خصلتان من هذه الخصال ما كتب، فظهر الذّكاء والهدوء، وظهرت البساطة و الثّورة، و يستطيع أن تلاءم بين هذه الخصال كما أحببت جمعا و تفريقا، و حذفا و إثباتا، فلن يفلت منها فصل من فصول الكتاب[52]. و قد طبّق طه حسين المعيار نفسه في دراسته لشعر حافظ إبراهيم، شاعر النيل"كان شعر حافظ صورة صادقة لهذه النّفس البسيطة، فأحبّوه كما أحبّوا مصدره".[53]

5. خاتمة:

كثيرًا ما يكون الأدب لسان حال الأمّة، فعديدة هي المواقف التي يشب فيها النزاع حول إمكانية الصّدق أو الكذب. وعمومًا فلكل منهما مواطن في الشعر حيث" لا يصلح فيها إلا استعمال الأقاويل الصادقة، ومواطن لا يصلح فيها إلا استعمال الأقاويل الكاذبة، ومواطن يصلح فيها استعمال الصادقة والكاذبة، واستعمال الصادقة أكثر وأحسن، ومواطن يحسن استعمال الصادقة والكاذبة أكثر وأحسن، ومواطن تستعمل فيها كلتاهما من غير ترجح، فهي خمسة مواطن لكل مقام منها مقال[54].و غالبًا ما يكون الصدق الفيصل بين الحقيقة والوهم وبين الصّحة والزّيف.

6. قائمة المراجع:

1- ابن طباطبا ،"عيار الشّعر" ،تح عبد العزيزبن ناصع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1980

2_ أحمد أمين، النّقد الأدبي ، دار الكتاب العربي،لبنان، ط 4، 1967،

3_ أحمد بيكس " الأدبية في النّقد القديم من القرن الخامس حتى القرن الثامن للهجرة"، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010

4_ إحسان عباس،" تاريخ النّقد الأدبي عند العرب: نقد الشعر من القرن الثاني الهجري"، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001،

5- الجاحظ، البيان و التّبيين ، ج1

6- المخصص ، ج1، قدم له الدّكتور/خليل إبراهيم جفال، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1996

7_ بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النّقد الأدبي، دار المريخ، الرياض، ط3، 1986،

8_زكي العشماوي ، قضايا النّقد الأدبي بين القديم و الحديث، دار النّهضة العربية، بيروت، د ط، د ت

9_ حازم القرطاجني " منهاج البلغاء و سراج الأدباء"،تح محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1981،
10_ طه حسين ، فصول في الأدب و النّقد، مطبعة المعارف، القاهرة، 1945
11_ مجدي أحمد توفيق" المعرفة التاريخية للنّقد العربي القديم"، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النّشر، الاسكندرية.2001
12_ محمد التيجاني محجوبي، "القضايا النّقدية عند فلاسفة الأندلس"مذكرة لنيل شهادة ماجستير في اللغة العربية و آدابها، تخصص أدب أندلسي، جامعة باتنة، 2009/2008
13_ محمد بن عبد الغني المصري،"نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي"،دار مجدلاوي، عمان ، الأردن، 1987،1
14_ محمد غنيمي هلال،" النّقد الأدبي الحديث، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4،
15_نجوى صابر ، النّقد الأخلاقي: أصوله و تطبيقاته ، دار العلوم العربية، بيروت، ط1990،1،

16_عبد القاهر الجرجاني" أسرار البلاغة"، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، ط1، 19914
17- رابح العربي، معايير في النّقد العربي خلال القرن الثاني و التاسع للهجرة، ط1، 2005
18_ رجاء عيد، التراث النّقدي، نصوص و دراسة، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1990،

- الرسائل الجامعية:

- محمد التيجاني محجوبي، "القضايا النّقدية عند فلاسفة الأندلس"مذكرة لنيل شهادة ماجستير في اللغة العربية و آدابها، تخصص أدب أندلسي، جامعة باتنة، 2009/2008،

[1] - نجوى صابر ، النّقد الأخلاقي: أصوله و تطبيقاته ، بيروت ، دار العلوم العربية، ط 1990،1، ص 67

[2] - انظر: المخصص ، ج1، قدم له الدّكتور/خليل إبراهيم جفال، ط 1، بيروت ، دار احياء التراث العربي، 1996، ص 292

[3] - انظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] - نجوى صابر، النقد الأخلاقي أصوله و تطبيقاته، ص 67

[5] - المرجع نفسه ، ص68

[6] - محمد بن عبد الغني المصري،"نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي"، دار مجدلاوي، عمان ، الأردن ، ، 1987، ص 162

[7] - الجاحظ ،البيان و التّبيين ، ج1،ص 48

[8] - محمد بن عبد الغني المصري" نظرية الجاحظ في النّقد...."ص 168
[9] - المرجع نفسه ،ص 170
[10] - الجاحظ: البيان و التبيين، ج 3، ص 352 -356
[11] - المرجع نفسه، ص 156

[12] - ابن طباطبا ،"عيار الشّعر" ،تح عبد العزيز بن ناصع، مكتبة الخانجي، ، القاهرة ،ط1، 1980 ، ص 14

[13] - المرجع نفسه،ص 16/15

[14] - إحسان عباس،" تاريخ النّقد الأدبي عند العرب: نقد الشعر من القرن الثاني الهجري"، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص 142

[15] - ابن طباطبا ، عيار الشعر، ص 120
[16] - عيار الشعر ص 43، و ينظر إحسان عباس " تاريخ النّقد الأدبي..."ص 143

[17] - ابن طباطبا، "عيار الشعر"، ص 23
[18] - عبد القاهر الجرجاني" أسرار البلاغة"، تح محمود محمد شاكر، دار المدني ، جدّة ، ط1، 1991، ص 219/218
[19] - المرجع نفسه ، ص 213/211

[20] - عبد القاهر الجرجاني" أسرار البلاغة"، تح محمود محمد شاكر، ص 220/219

[21] - رجاء عيد، التراث النّقدي، نصوص و دراسة، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1990، ص 199

[22] - المرجع نفسه، ص 109

[23] - حازم القرطاجني " منهاج البلغاء و سراج الأدباء"،تح محمد الحبيب بن خوجة،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981، ص 75
[24] - أحمد بيكس "الأدبية في النّقد القديم من القرن الخامس حتى القرن الثامن للهجرة"،عالم الكتب الحديث، الأردن ، إربد، ، ط1، 2010، ص 158

[25] - حازم القرطاجني " منهاج البلغاء و سراج الأدباء، ص 79

[26] - المرجع نفسه، ص 81

[27] - محمد التيجاني محجوبي، "القضايا النّقدية عند فلاسفة الأندلس"مذكرة لنيل شهادة ماجستير في اللغة العربية و آدابها، تخصص أدب أندلسي،، ص 179

[28] - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء...."، ص 76

[29] - أحمد بيكس" الأدبية...."ص 159

[30] - رجاء عيد " التراث النقدي..."، ص 113

[31] - مجدي أحمد توفيق" المعرفة التاريخية للنّقد العربي القديم"،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النّشر، الاسكندرية.2001، ص 106

[32] - حازم القرطاجني"منهاج البلغاء..." ص 81

[33] - نجوى صابر، النقد الأخلاقي،أصوله و تطبيقاته"، ص 79

[34] - محمد غنيمي هلال،" النّقد الأدبي الحديث"، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، ص 214

[35] - المرجع نفسه ، ص 215

[36] - رابح العربي، معايير في النّقد العربي خلال القرن الثاني و التاسع للهجرة، ط1، 2005، ص 59

[37] - نجوى صابر ، النّقد الأخلاقي: أصوله و تطبيقاته ، ص 79

[38] - المرجع نفسه، ص 70

[39] - انظر: المرجع نفسه، ص 79

[40] - نجوى صابر ، النّقد الأخلاقي: أصوله و تطبيقاته ، ص 80

[41] - المرجع نفسه ، ص 77

[42] - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

[43] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[44] - زكي العشماوي ، قضايا النّقد الأدبي بين القديم و الحديث، دار النّهضة العربية، بيروت،د ط،د ت ،ص 15

[45] - المرجع نفسه ، ص17
[46] - النّقد الأدبي، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، لبنان، ط 4، 1967، ص 36

[47] - المرجع نفسه، ص 36
[48] - المرجع نفسه، ص 112

[49] - النّقد الأدبي، أحمد أمين، ص 67-
[50] - المرجع نفسه ، ص 67
[51] - بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النّقد الأدبي، دار المريخ، الرياض، ط3، 1986، ص 305

[52] - طه حسين ، فصول في الأدب و النّقد، مطبعة المعارف، القاهرة، 1945، ص 12

[53] - حافظ و شوقي، حسن كامل الصيرفي، ص 199، نقلا عن بدوي طبانة ، التيارات المعاصرة في النّقد الأدبي، ص 308
[54] - حازم القرطاجني" منهاج البلغاء..." ص 83